إنتظارُ الفَرَجِ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إن انتظار الفرج وترقبه إذا كان مصحوبًا ببذل الأسباب التي يكشف بها البلاء فهو من العبادات العظيمة التي يتقرب بها العبد من ربه. ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٢]، ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١﴾[الطلاق: ١]. فعلى العبد ألَّا يضيق ذرعًا، وينتظر الفرج من ربه ويكون على يقين بموعود الله له، فإن الشدّة لا تدوم، والالم لا يبقى، ولاشك أن ما من عسر إلا ويعقبه يسر، وما من ضائقة إلا ويزيلها الفرج.

عناصر الموضوع

١ انتظار الفرج وقت الشدة خطبة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

٢ عبادة انتظار الفرج.

٣ نَنتَظِرُ الفَرجَ: لأنَّنا نَعلمُ أنَّ لنا رَبًّا عَليمًا حَكيمًا.

٤ عبادة انتظارِ الفَرَجِ، هِيَ عِبادةُ الأنبياء.

٥ سَحَابَةٌ ثمَّ تَنقشعُ.

٦ ترقَّبْ فَرَجًا.

٧ أحسن الظن بالله وكأنك ترى الفرج.

٨ كل هَمٍّ إلى فرج.

٩ من الحكم عند العرب في انتظار عبادة الفرج.

١٠ فقه عبادة انتظار الفرج.

١١ لا تنتظر الفرج الذي تتصوره، انتظر الفرج الذي يأتي من عند الله.

١٢ الرجاء في الله.

انتظار الفرج وقت الشدة خطبة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي

الحمد لله الحميد في وصفه وفعله، الحكيم في خلقه وأمره، الرحيم في عطائه ومنعه، المحمود في خفضه ورفعه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له في كماله، وعظمته ومجده، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أفضل مرسل من عنده، اللهم صل وسلم على محمد، وعلى آله وصحبه وجنده. أمَّا بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى، وتفكروا في حِكم المولى في تصريف الأمور، وأنه المحمود على ذلك، المثنى عليه الشكور. واعلموا أنَّ ما أصابكم من مصيبة، فبما كسبت أيديكم، ويعفو عن كثير، وأن هذه الشدة، لا بدَّ أن يفرجها من هو على كل شيء قديرٌ، ولا بدَّ أن يبدل الشدة بضدها، والعسر بالتيسير، بذلك وعد وهو الصادق السميع البصير.

فعودوا على أنفسكم بالاعتراف بمعاصيكم وعيوبكم، وتوبوا إليه توبة نصوحًا من جميع ذنوبكم، وقوموا بما أمركم الله به، وهو الصبر عند المصائب، واحتسبوا الأجر والثَّواب إذا أصابتكم المكاره والنوائب، وكونوا في أوقاتكم كلها خاضعين لربكم متضرعين، وفي كل أحوالكم سائلين له كشف ما بكم، ولكرمه مستعرضين.

ووجهوا قلوبكم إلى من بيده خزائن الرحمة والأرزاق، وانتظروا الفرج، وزوال الشدَّة من الرؤوف الرحيم الخلاق؛ فإنَّ أفضل العبادة انتظارُ الفرج من الرحيم الرزَّاق، وإياكم أن يستولي على قلوبكم القنوط واليأس، أو تفوَّهوا بالكلام الدَّال على التضجر والتسخط؛ فإنَّ المؤمن لا يزال يسأل ربه، ويطمع في فضله ويرجوه، ولا يزال مفتقرًا إليه في جلب المنافع، ودفْع المضار من جميع الوجوه.

إن إصابته السراء كان في مقدمة الشاكرين، وإن نالته الضراء فهو من الصابرين، يعلم أنه لا رب له غير الله يقصده ويدعوه، ولا إله له سواه يؤمله، ويرجوه، ليس له عن باب مولاه تحوُّلٌ ولا انصراف، ولا لقلبه تلفتٌ إلى غيره ولا تعلقٌ ولا انحرافٌ.

لا تخرجُهُ السراء والنعم إلى الطغيان والبطر، ولا يكون هلوعًا عند مسّ الضراء، متسخطًا للقضاء والقدر، يتمشى مع الأقدار السارَّة، والمحزنة بطمأنينة وسكون، ويهدي الله لها قلبه؛ لعلمه أنها تقدير من يقول للشيء: كن فيكون.

فهذا عبد موفق، قد ربح على ربه، وقام بعبوديته في جميع التقلبات، وقد نال السعادتين: راحة البال، وحسن الحال والمال، واكتسب الخيرات، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١﴾[التغابن: ١١].

عبادة انتظار الفرج

حياة المؤمن متقلبه بين الرخاء والشدة، بين الفرح والحزن بين اللين والعسر، بين الصفاء والكدر.. نحن نعيش في تموجات الحياة تواجهنا عقبات وتعثرات، وما نستمتع به اليوم والآن قد نفتقده غدًا وما كنا نرجوه ونتمناه قد يأتينا في لحظه أو يوم أو بعد زمن مترقب.. وخصوصًا إذا كانت لديه عقيدة واستشعر العبد ما يترتب على البلاء من الأجر، والخير العميم؛ هان عليه البلاء، وانقلب البلاء إلى حلاوة، وخف المه، وانتظر الفرج من الله، وانتظار الفرج عبادة؛ فالبلاء تجتمع فيه عبادات عظيمة لمن وفق لها؛ منها: الصبر.. وهو الثبات من القلب، والتأني في تحقيق المطالب، وقبول الأمور والتعايش معها بالدعاء.. وذلك الذي يعطينا الشفاء بمجرد امتلاء أيدينا بدعواتنا ورفعها لخالقها فذلك جمال ونعمه وعباده. وبالانتظار.. ويأتي معه حسن الظن بالله وقوة الأمل به وأن نسمات الفرج قريبه. فيالها من عبادات قلبية عظيمة! وأعظم عبادة هي انتظار الفرج، إن ممَّا يُعَزِّي النفوسَ

عند نزول الشدائد، وحلول المحن، ويصرِف عنها موجةَ الالم، الأملَ في فَرَجِ اللهِ القريبِ، والثقة في رحمته وعدله؛ إذ هو ﷻ أرحم الراحمين، ومن رحمته لعباده أنه لا يتابِع عليهم الشدائدَ، ولا يهلكهم بكثرة النوائب، بل يُعقِب الشدةَ بالسعة، كما قال ﷻ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦﴾ [الشَّرْح: ٥-٦]، فقد تكرَّر اليسرُ بعد العسر مرتينِ، وحيثما وُجِدَ العسر على تنوُّع ألوانه، واختلاف دروبه، وُجِدَ إلى جانبه يسرٌ يُنَفِّس الكربةَ، ويَجْبُر القلبَ، ويواسِي الجراحَ، ويُنسي الآلامَ، ويُذهِب الأحزانَ خاصةً حين يلجأ المؤمنُ في شدته وبلائه إلى ربه، ويسأله ﷻ أن يبدِّله من بعدِ شدتِه رخاءً، ومن أحزانه وبواعِث همِّه فرجًا ويسرًا وعافيةً.

نَنتَظرُ الفَرجَ: لأنَّنا نَعلمُ أنَّ لنا رَبًّا عَليمًا حَكيمًا

إن لنا ربًّا سَميعًا كَريمًا، بَصيرًا رَحيمًا، ابتلانا ليَستخرجَ مِنَّا أصنافَ العِباداتِ، وأنواعَ الطَّاعاتِ، وخَالِصَ الدَّعواتِ، فَفي البَلايا، تَتَجدَّدُ النَّوايَا، وتُغفرُ الخَطايا، وتَعظُمُ العَطايا، وفي الفِتَنِ والكُروبِ، يُعرفُ الصَّادقُ مِن الكَذوبِ، ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾[العنكبوت: ١- ٣]، وكُلَما اشتَدَّ الكَربُ أَيقَنَ أهلُ الإيمانِ، أنَّ الفَرجَ مِن اللهِ ﷻ قَد حَانَ.

قِيلَ لعُمرَ رضي الله عنه عَامَ الرَّمادةِ: اشتدَّ القَحطُ، وقَنطَ النَّاسُ، فَقَالَ: الآنَ يُمْطرونَ، وقَرأَ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝٢٨﴾[الشورى:٢٨].

عبادة انتظارُ الفَرَجِ، هِيَ عِبادةُ الأنبياءِ

هِيَ زَادُ الأولياءِ، وهِيَ سَلوةُ الأتقياءِ، لأنَّهم أشَدُّ النَّاسِ في البَلاءِ، أنيسُهم هو الإيمانُ الرَّاسخُ بوَعدِ: ﴿سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧﴾[الطلاق:٧]، ويَنتَظِرونَ وَعدَ: «وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا"،[1] ولِسانُ حَالِ قُلوبِهم: ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ٥٦﴾[الحجر:٥٦].

فَمهمَا اشتَدَّ الظَّلامُ فلا بُدَّ أن يَعقِبَهُ ضِياءٌ، فَمُعاناةُ الالم لا بُدَّ لَهَا مِن شِفاءٍ، وسَطوةُ الفَقرِ لا بُدَّ لَها مِن جَلاءٍ، وشِدَّةُ الضِّيقِ عَاقِبَتُها إلى سِعةٍ ورَخاءٍ، هَكَذا عَلَّمنا القُرآنُ، فَمَن الذي حَملَ نُوحًا في الفُلكِ؟ ومَن الذي نَجَّى إبراهيمَ من النارِ؟ ومَن الذي رَدَّ يُوسفَ لِيَعقوبَ؟ ومَن الذي فَلقَ لِموسى البَحرَ؟ ومَن الذي شَفى أيوبَ مِن الضُّرِ؟ ومَن الذي حَفظَ

---

١ الراوي: عبدالله بن عباس | المحدث: ابن حجر العسقلاني | المصدر: موافقة الخبر الخبر | الصفحة أو الرقم: ٣٢٨/١

يُونسَ في بَطنِ الحوتِ؟ ومَن الذي رَفعَ عِيسى إلى السَّماءِ؟ ومَن الذي أنزلَ السَّكينةَ في الغارِ؟ فما الشدائد والابتلاءات والمحن إلا خطوةٌ على الطريق إلى تحسين الأحوال، وقفزةٌ إلى رخاء العيشِ، وبلوغِ الآمالِ، مع ما فيها من تمحيص وتكفير للسيئات ورفع للدرجات.

تمر الأيامُ والرسلُ يَدْعون فلا يستجيب لهم إلا القليل، وتكرُ الأعوامُ والباطلُ والطغيانُ يُهيمن في الحياة، والرسل تنتظرُ النصرِ فلا يغشاها إلا ظُلل البطشِ والقهر، ضيق وكرب ما يطيقه بشر، يأتي الجوابُ لأبي الأنبياء نوح عليه السلام بعد ما دعا قومَهُ ليلًا ونهارا، سرًا وجهارا، أقبل عليهم وأدبر، وذهب إليهم ورجع، ألف سنةٍ إلا خمسين عامًا؛ ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾[الشعراء: ١١٦]. ومع ذلك حين أصابه الكرب وتحمل الأذى التي تعجز عن حمله الجبال لجأ ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾، فأغرقهم الله سبحانه وتعالى ونجاه.

يُشنقُ زكريا ويحيى، يُطارد موسى؛ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾[القصص: ٤]. في هذه اللحظةِ التي يستحكُم فيها الكرب، ويأخذُ الضيقُ بمخانقِ الرسل، ولا تبقى ذرةُ من الطاقة المدخرة، في هذه اللحظة يجيء النصرُ كاملًا حاسمًا فاصلًا؛ ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾[يوسف: ١١٠].

من سننِ اللهِ سبحانه وتعالى، لا بد من الشدائد والكروب؛ حتى لا يكونَ النصرُ رخيصًا، فتكون الدعواتُ هزْلا، يتبين الحقُ من الباطلِ على محك الشدائدِ، التي لا يصمدُ لها إلا الواثقون الصادقون، الذين لا يتخلون عن دعوةِ اللهِ، ولو ظنّوا أن النّصر لا يجيئُهم في هذه الحياة!.

هذه سنَّةُ اللهِ سبحانه وتعالى في خلقه، فقد حوصر الرسل، وحورب الأنبياء، وضُيّقَ على الأولياء، لم يمنعهم ذلك من الاستمرار على دعوتهم، والبقاء على منهجهم، بل لم يزدْهم ذلك إلاَّ إصرارًا على طريقتهم، وتمسُّكا بدينهم، ثم جاءهم الفرج، وحالفَهم النصر، وفازوا وربحوا، ونجحوا وأفلحوا.

فالشدائد والبلايا مهما بلغت وتعاظمت لا تدوم، ورحمة الله أعظم، وفرجه أقرب، فلا تيأس ولا تحزن ولا تقلق، وقل يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك، وثق بالله وارض به إن الذي يكشف البلوى هو الله. أبشروا إذا صبرتم على ما أُصبتم، أبشروا إذا توكلتم على الله حقَّ توكُّلِه، أبشروا بالفرجِ العاجل، والثوابِ الآجل، فلا تستعينوا بغيرِ الله، ولا تستنجِدوا بغير الله، ولا تتوكَّلوا على غير الله، توجهوا بقلوبكم إلى الله، أخلصوا في دعائكم لله، يأتكم الفرج والنصر من الله ﷻ.

حكوا أن ملكًا من ملوك الهند طلب من وزيره أن ينقش على خاتم له جمله؛ إذا قرأها وهو حزين فرح وإذا قرأها وهو سعيد حزن، فنقش الوزير «هذا الوقت سوف يمضي»، عبارة جميلة وصادقة، وفعلًا سوف يمضي ويتغير ويتبدل، وهذا واقع الحياة فلا مبالغة في فرح ولا يأس واهتزاز من حزن..

تقول العرب «دوام الحال من المحال»، ويقولون: «اصبر تنل»، ويقولون: «كل هم إلى فرج». إذا أُصبت بمصيبة، أو نَزَلَت بك نازلة، فتذكر أن أصعب ما في المصيبة أولُها.. [1]

ثم تهون.. وتذكر أن وقت الشدة ستزول وتذهب، فما يولد المولود إلا بعد شدائد وآلام، وما يطلع الفجر إلا بعد الظلام. والأمراض والأوبئة والبلاء مهما طالت ستزول بإذن الله ﷻ.

قال ابن القيم رحمه الله: «مهما طال البلاء فسوف يزول، جعل الله الشدائد والآلام والشرور في هذه الدنيا بتراء لا دوام لها».[2] فإذا وقع بك يومًا البلاء، وضاقت عليك الحياة ، فتذكر أنك لست أولَ من عانى مثلَه، وقد ابتلي قبلك أقوام فزال البلاء.. وذهبت الشدة وجاء الفرج.

قال أبو العباس: كَانَ ابْنُ شُبْرُمَةَ إِذا نَزلتْ بِهِ شِدَّةٌ، يَقُولُ: سَحَابَةٌ ثُمَّ تَنقشعُ.[3]

من هو ابن شبرمة؟ هو عبد الله بن شبرمة بن طفيل بن حسان الضبي، الإمام العلامة فقيه العراق قاضي الكوفة، تابعي من صغار التابعين، كان ابن شبرمة عفيفًا صارمًا عاقلًا خيرًا يشبه النساك، وكان شاعرًا كريمًا جوادًا له نحو من خمسين حديثًا.

قال عمر بن الخطاب رحمه الله: لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيّهما ركبت. [4]

---

١ مناقب الشافعي رحمه الله ١/٤٢٥.

٢ مختصر الصواعق المرسلة (٢٦٨).

٣ الكامل في اللغة والأدب ط. أخرى – المجلد ١ – الصفحة ٣٥٩ – جامع الكتب الإسلامية.

٤ الكامل في اللغة والأدب ط_أخرى – المجلد ١ – الصفحة ٣٥٩ – جامع الكتب الإسلامية.

فَإذا عَلِمنا أنَّهُ ليسَ لَها مِن دُونِ اللهِ كاشفةٌ، فأينَ نَذهبُ؟ وبِمن نَستغيثُ؟ وإلى مَن نَلجأُ؟ ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾[الزمر:٣٨].

ترَقَّب فرَجاً

١- نَنتظرُ الفَرَجَ من الله ﷻ: باللجوء إليه، ومِنْ أعظمِ ما يُرجى لتفريج الكربة ورفع الشدة عند البلاء الإيمانُ بالله ﷻ والمسارَعةُ إلى مرضاته، وقوة اللُّجُوء إليه، وصِدْق التوكل عليه، وحُسْن الثقة به، والإيمان برسوله ﷺ، واتباع سُنَّته، واقتفاء أثره، وتقديم محبته على محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعينَ.

٢- نَنتظرُ الفَرَجَ من الله ﷻ: بالدعاء. نَنتظرُ الفَرَجَ بِدُعاءٍ صَادقٍ مِن أعماقِ القُلوبِ، فإنَّه نِعمَ الصَّاحبُ في أيامِ الأزَماتِ والكُروبِ، فَقد أَمرَنا اللهُ تَعالى بالدُّعاءِ ووَعدَ بالإجابةِ،، والإكثار من الدعاء والإلحاح فيه، والمداوَمة على قول: بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمِه شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، فقد ثبَت عن النبي ﷺ كما في (سنن أبي داود والترمذي بإسناد صحيح)، أنه ﷺ قال: «مَن قال: بسمِ اللهِ الذي لا يَضرُ مع اسمِه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ وهو السميعُ العليمِ. ثلاثُ مراتٍ، لم تصبْه فجأةُ بلاءٍ حتى يُصبحَ، ومَن قالها حينَ يُصبحُ ثلاثَ مراتٍ لم تُصبْه فجأةُ بلاءٍ حتى يُمسي».[١]

٣- نَنتظرُ الفَرَجَ من الله ﷻ: بالتوبة والاستغفار.

٤- نَنتظرُ الفَرَجَ من الله ﷻ: بكثرة ذكر الله، وأعظم الذكر قراءة القرآن.

٥- نَنتظرُ الفَرَجَ من الله ﷻ: بُحُسنِ الظَّنِّ.

٦- نَنتظرُ الفَرَجَ من الله ﷻ: بِصبرٍ جَميلٍ، على أقدارِ العزيزِ الجليلِ، دُونَ شَكوى أو سَخَطٍ، ودُونَ شَكٍّ أو قَنَطٍ، وحِينَها قَدْ لا تُبالي مَتى يَنكَشِفُ الكَربُ والبلاءُ.

---

١ الراوي: عثمان بن عفان | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح أبي داودالصفحة أو الرقم: ٥٠٨٨ | خلاصة حكم المحدث: صحيح.
التخريج: أخرجه أبو داود (٥٠٨٨) واللفظ له، والترمذي (٣٣٨٨)، والنسائي في (السنن الكبرى) (٩٨٤٣)، وابن ماجه (٣٨٦٩)، وأحمد (٤٤٦).

أحسن الظن بالله وكأنك ترى الفرج

فقُلوبُنا تَرى الفَرجَ وكأنَّه قَد وَقعَ على المهمومِ، فنَسيَ ما كَانَ يُعانيهِ مِن ألمٍ وَغُمومٍ، وَعدًا مِن اللهِ حقًّا، وقَولًا مِن الرَّحمنِ صِدقًا، إذًا علامَ يعلوك الغم والهم؟! لماذا تعد الأيام عدًّا؟! لماذا تنتظر الساعات انتظارًا؟! ألم يمر عليك قول الله ﷻ للصاحبين؛ أحدهما يتفطر حزنًا على صاحبه حين طمأنه وربط على صدره: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾[التوبة: ٤٠]!!

ألم تقرأ في تضاعيف الآيات قول الله ﷻ لأم موسى: ﴿فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾[القصص: ٧]. أي والله، إذا خفت عليه ﴿فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧﴾[القصص: ٧].

إن الطبيب الذي توعدك بالموت لا يملك الفوت، إن ذا السلطان والجبروت الذي يتوعدك بالتهجير والتقتيل لا يملك من التدبير شيئًا، إنما التدبير من الله ﷻ.

لماذا يعلوك الهم والغم وأنت تقرأ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ [الشرح: ١، ٢]، لقد نزلت هذه السورة الكريمة بعد سورة الضحى؛ وكأنها تكملة لها، وفيها روح المناجاة للحبيب، وفيها استحضار مظاهر العناية، واستعراض مواقع الرعاية، وفيها البشرى باليسر والفرج، وفيها التوجيه إلى سرِّ اليُسْر وحبل الاتصال الوثيق. وهي توحي بأن هناك ضائقة كانت في روح الرسول ﷺ لأمر من أمور هذه الدعوة التي كلفها، ومن العقبات الوعرة في طريقها، ومن الكيد والمكر المضروب حولها. توحي بأن صدره ﷺ كان مثقلًا بهموم هذه الدعوة الثقيلة، وأنه كان يحس العبء فادحًا على كاهله، وأنه كان في حاجة إلى عون ومدد، وزاد ورصيد، ثم كانت هذه المناجاة الجميلة.

ألم تعلم أن التدبير من الله، وأن الفرج بيد الله ﷻ؟ أم دار ببالك أن الدنيا دار هناء لا كدر فيها ودار صفاء لا تنغيص فيها؟ لا، إن كنت قد ركبت هذا المركب فقد ركبه قبلك آخرون: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾[آل عمران: ١٤٠]، هذا هو حال الدنيا إن حلت أوحلت، وإن كست أوكست، وإن أعطت منعت.

جُبِلَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا .. صَفْوًا مِنَ الأَقْدَارِ وَالأَكْدَارِ[1]

رغم الهموم والغموم اعلم أن أفضل العبادة انتظار الفرج: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢﴾ [الطلاق: ٢]، ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝٤﴾. [الطلاق: ٣].

١ أبو الحسن علي بن محمد بن فهد التهامي (٠٠٠ – ٤١٦ هـ/ ٠٠٠ – ١٠٢٥م)، شاعر مشهور، من أهل تهامة (بين الحجاز واليمن).

دَعِ الْمَقَادِيرَ تَجْرِي فِي أَعِنَّتِهَا ∴ وَلَا تَنَامَنَّ إِلَّا خَالِيَ البَالِ
مَا بَيْنَ غَمْضَةِ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِهَا ∴ يُغَيِّرُ اللهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالِ[1]

فثقوا بربكم، وأحسنوا الظن به، واصدقوا فى التوكل عليه، وانتظروا موعوده الذى لا يتخلف.

الليل ينتهي بالصباح، ولباب الهموم مفتاح وأي مفتاح، قال صاحبنا الزين:

سَيَفْتَحُ اللهُ بابًا كُنْتَ تَحْسَبُهُ ∴ مِنْ شِدَّةِ اليَأْسِ لَمْ يُخْلَقْ بِمِفْتَاحِ

من الحكم عند العرب في انتظار عبادة الفرج

«إذا اشتدَّ الحبلُ انقطع»، و«إذا أظلم الليل انقشع»، و«إذا ضاق الأمر اتسع»، و«إذا الشدة تناهت انفرجت، وإذا توالت تولت»، و«عند انسداد الفُرج يكون انفتاح الفرج».

١ الشاعر صالح مجدي– قصيدة دع المقادير تجري في أعنتها.

كل هَمٍّ إلى فرج

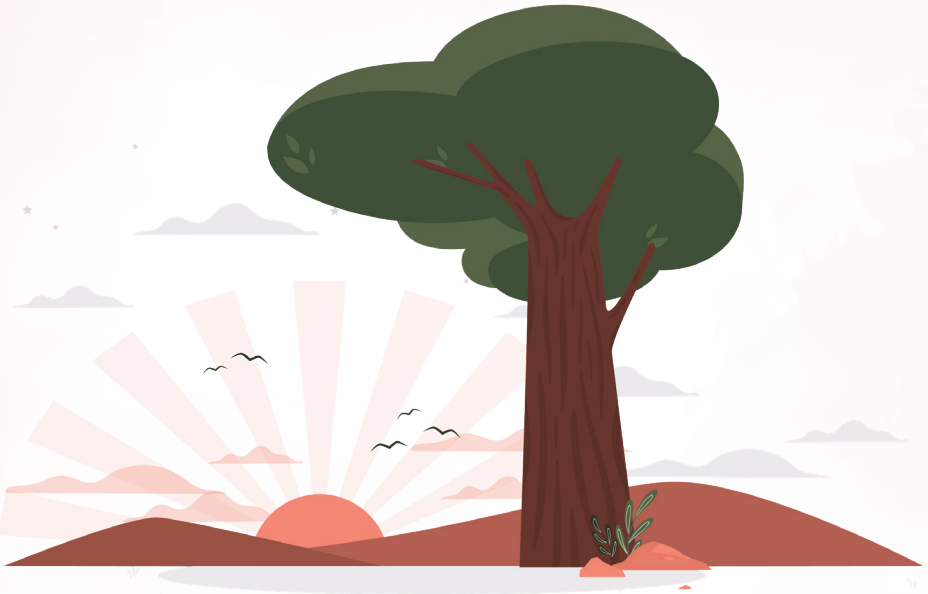

بعد الصحراء واحة وماء، ومن خلف الجبال بلاد فيها أفياء، ووراء اليأس رزق ومال ونماء، بعد الجوع شبع وبعد الحزن سرور، ويعقب اللوعة سلوة، ويتبع المرض عافية، وللعلة دواء، وللظمأ ماء، وللشدة رخاء، وإن مع العسر يسرًا، بعد الظلام ضياء، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده.

إذا أذن الله في حاجة أتاك النجاح، وقرب ما كان مستبعدًا، ورد الغريب إلى أهله، فلا تسأل الناس من فضلهم، ولكن سل الله من فضله؛ فما منعك إلا ليعطيك، وما أبعدك إلا ليدنيك، وما ابتلاك إلا ليعافيك ولا امتحنك إلا ليصطفيك، هذا هو حال الدنيا. إذًا لا تحزن، لا تفزع، لا تقلق، لا زال الله حيًا وهو حي لا يموت، لا زال قيومًا وهو القيوم الذي لا ينام، لا زال مدبرًا.

فقه عبادة انتظار الفرج

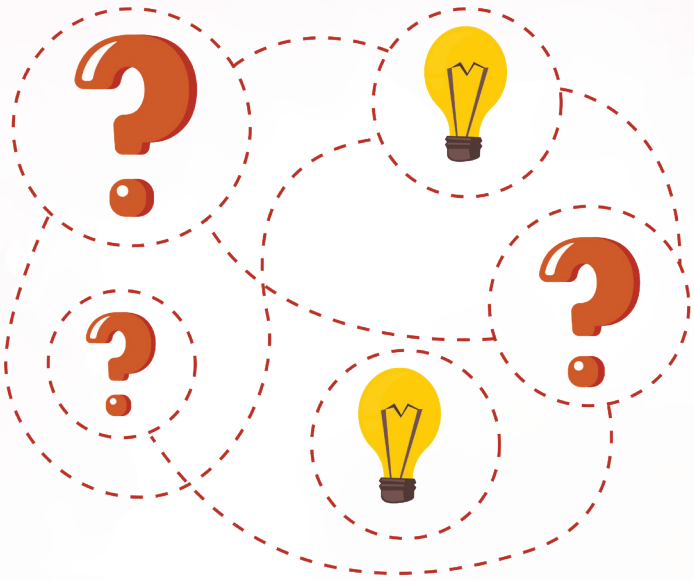

والفقه – كما هو معروف – أخص من الفهم، فالفقه هو الفهم فيما يدِق؛ ذلك أن القضايا العقدية التي نقرؤها في ثنايا الكتاب وفي تضاعيف سنة الحبيب ﷺ ليست مسائل نظرية، إنها مسائل للتطبيق وللعمل، القضايا الاعتقادية من قبيل اليقين والتوكل والتفويض لا بد أن تنزل إلى أرض الواقع.

عجبًا لأولئك الذين يرددون بألسنتهم: وما أبرئ نفسي، هذه القضايا الكبرى العظيمة، فإذا ما نزلت النازلة ووقعت الواقعة وحقت الحاقة ارتجت منهم أفئدة وقلوب، أرزاق العباد على الله لا يملك الرزق إلا الله، آجال العباد على الله لا يملك الآجال إلا الله.

لو اجتمعت الأمة على أن تقدم في عمرك ثانية ما استطاعت، ولو اجتمع أهل الأرض جميعًا أن يؤخروا من عمرك ثانية واحدة ما استطاعوا، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا مقامًا واحدًا على أن يغنوا فقيرًا ما أغنوه إلا أن يأذن الله، ولو قاموا مقامًا على أن يفقروا غنيًا والله ما استطاعوا إلا أن يأذن الله، حتى السحر الذي تتدخل فيه الشياطين؛ يقول الله فيه: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾. أي هذه المعاني حين تنزل بنا النوازل وتدلهم المدلهمات؟! لا بد من العودة إلى هذه الحقائق الكبرى التي يجابه بها العبد صعاب الحياة، ولابد أن تعصف بالمرء في الحياة المتاعب، ولابد أن تعصف به العواصف.

من كرم الله ﷻ وحسن تدبيره -وكل تدبيره حسن- أنه جعل الأرزاق والآجال بيده ﷻ، ولو كانت بأيدينا لشح بعضنا على بعض: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾[الإسراء: ١٠٠].

إن ضاق عليك مكان فاذهب إلى ربك، إذا أصابك الهم أو عصف بك الغم فاسجد سجدة المستريح على عتبات الله ﷻ، واعرج بروحك، وإن دنوت بجبهتك إلى الأرض اعرج بروحك إلى سدرة المنتهى، عند ذلك الأمن: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام: ٨٢].

أين أنت من قوله تعالى: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾؟!

أين أنت من التسبيح والصلاة والوضوء والدعاء واللجوء؟! أين أنت من الإقبال على الله؟! وهل رد الله عبدًا أقبل عليه؟! وهل سد الله بابًا فتحه؟! ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾. [فاطر: ٢].

لا تنتظر الفرج الذي تتصوره، انتظر الفرج الذي يأتي من عند الله تعالى

قد يكون هناك شخص حزين، أو يحمل هَمَّ شيء، لا بد أن تسمع هذا الكلام بقلبك قبل أي شيء. تخيل يوسف عليه السلام، بعد سيل من الابتلاءات، بعد الكربات المتتابعة، ثم مكنه الله في الأرض، فأدرك حسن العاقبة، وقف متعجبًا من حسن تدبير الله قائلًا: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

أنت عندما تمر عليك الابتلاءات أيام كثيرة، لا تظن بالله إلا خيرًا؛ فالله سينقذك، ويعطيك، ويجبرك، بطرق لا تفهمها، لا تصنع سيناريو الفرج، دع الله يتولى زمام الأمور؛ إذًا علامَ الهَمُّ؟! لا تحزن، لا تقلق، لا تتضايق، سيجعل الله سبحانه وتعالى بعد العسر يسرًا، من كان يتصور أن فرج أصحاب الكهف كان بالنوم؟ ومَنْ كان يتصور أن فرج يوسف عليه السلام كان برؤيا يفسرها في سجنه وبها صار وزيرًا؟ ومن كان يتصور أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي بكت في حادثة الإفك ليلتين، لم يرقأ لها دمع، ولا اكتحل بنوم لها عين، تقول: حتى ظننت أن البكاء فالق الكبد.[1]

---

١ الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: ٢٦٦١ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

ولبث ﷺ شهرًا لا يوحى إليه شيء، شهر كسنة، وليل كدهر، وليل كموج البحر.

من كان يظن أن الله سينزل آيات في القرآن تبرئ السيدة عائشة رضي الله عنها، ويُتلى على مسمع النبي ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ﴾ [النور: ١١].

وإبراهيم عليه السلام تعرّض للبلايا والرزايا، جمع له الناس ما يوقدون به نارًا عظيمة، ورموه بالمنجنيق إلى تلك النار البعيدة، فنادى: «حسبنا الله ونعم الوكيل»، مَنْ كان يظن أن الله سبحانه وتعالى جعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم؟! ثم يخرج إبراهيم عليه السلام من قريته وضاق به الحال في الشام فقال: ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾[العنكبوت: ٢٦]، في هذه الحالة من كان يظن أنه سوف يجعله الله إمامًا من المرسلين، وسوف يبني بيت الله العظيم.

وإبراهيم عليه السلام عندما ابتُلي في ابنه، فرأى في المنام أنه يذبحه، فانقاد لهذا الأمر العظيم، فأنزل الله: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾[الصافات: ١٠٧]، هل كان يتصور هذا الفرج العظيم؟

ويونس عليه السلام أصبح في ظلمات ثلاث، لا إرسال هاتف جوال، ولا يغني في ذلك المكان جاه ولا مال: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[الأنبياء: ٨٧، ٨٨]، هل كان يظن وهو في بطن الحوت أن يلفظه الحوت إلى شاطىء البحر وهو حي؟! قال تعالى: ﴿۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾[الصافات: ١٤٥، ١٤٦].

الرجاء في الله

الآن استشعر رحمة الله عليك، ربما ابتلاك بثقل لكنك لم تهلك، ابتلاك بمصيبه لكن تأمل في مصائب غيرك، من أهلك وأقاربك وأصدقائك، ألا يوجد منهم من هو أشد منك ابتلاءً؟ إذًا أنت في نعمة كبيرة عظيمة، مهما كان حالك، اطلب من الله أن يخفف عنك تعب الحياة، وأن يعطيك القوة لمواجهة أقدار الله وصعاب الحياة، وفي قلبك لاحول ولا قوه إلا بالله.

فعندما طلب سيدنا موسى قبل أن يرفع الله عنه الابتلاء، طلب أولًا أن يشرح له ربنا صدره قبل أي شيء؛ قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥﴾[طه: ٢٥].

حتي لا تكون الأزمة كبيرة عليك، هذا هو الشيء الذي يحتاجه كل واحد منا، ليس أن يرفع عنه الابتلاء، بل يشرح له صدر؛ شرح الصدر هو الذي يجعل الإنسان يتقبل الابتلاء، ويعلم أنها سوف تنفرج وتنتهي، وغيرك كثيرون تتوقف أمورهم، كلها تتعطل ولا يعرفون كيف يحلونها، و حتى

تتخطى كل مشكلة أنت فيها، ادع ربَّك وقل: رب اشرح لي صدري، تجاه الأمر الثقيل علي، ولا أعرف كيف أتخطاه لوحدي، يا رب ساعدني لأتخطى هذا الابتلاء، يا رب أنت لو قدرت على أقدارًا صعبة، أعطني القدرة لأتحمل هذا الأمر، يا رب إذا قدرت لي رزقًا قليلًا، فاجعلني أتقبله، وقنعني بما رزقتني؛ لأن كل الأزمات التي تعتقد أنها أزمات كثيرة في حياتك، هناك أناس آخرون تعيش مع تلك الأزمات ومتقبلة وراضية تمامًا.

كن راضيًا بأقدار الله، وسيرضيك بعطاياه من حيث لم تحتسب، فقط لنري الله من أنفسنا خيرًا، لا تجعل الله يراك حزينًا، فالله ﷻ أعظم وأكرم من كل أحد، هوِّن عليك الحياة، وهوِّن عليك الدنيا؛ فقلبك لا يستحق كل هذا الكم من الحزن، الله له ملك السماوات والأرض، ولن يعجزه شيءٌ، أفتعجزه أمنيتك البسيطة جدًا؟! كل شيء سيكون أجمل وأفضل بإذن الله.

"اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد".

المراجع:

١ انتظار الفرج – الشيخ هلال الهاجري.

٢ انتظار الفرج وقت الشدة –خطبة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

٣ شرح حديث دعاء الكَرْبِ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ»، موقع موسوعة الدرر السنية.

٤ لا تغتم –توفيق الصائغ.